نكبة الهمداني

بقلم الدكتور عبدالرحمن عبدالواحد الشجاع
الإستاذ في قسم التاريخ

لاتزال حياة أبي محمد الحسن بن يعقوب الهمداني يكتنفها الغموض ولم يصل الباحثون بعد الى رأى متكامل عن حياته . ولا أظنه شذ عن الكثير من الأحداث والاشخاص فى التاريخ الاسلامى خاصة وفى التاريخ العالمى عامة فقد تدخلت عدة عوامل لحرماننا من الاطلاع على حقيقة ما جرى بوضوح . منها : عدم الاهتمام بالتسجيل ، ومنها : الكوارث الطبيعية والحزبية، ومنها : الاختلاف المذهبى العرقى . ومنها : الاجتياح الدينى المتعصب ..الخ .

لقد تعرض التاريخ الاسلامى بفروعه المختلفة الى الكثير من تلك العوامل ان لم تكن جميعها وضاع تحت أقدامها تراث ضخم -نحن اليوم - نأسى على ضياعه أوعلى عدم وصوله الينا .

وها نحن أمام حالة ماثلة شاخصة للعيان انها شخصية الهمدانى ذلك المؤرخ ، الجغرافى ، النسابه ، اللغوى ، الشاعر ، الأديب ، الفيلسوف ، الفلكى (١) صاحب المؤلفات العديدة فى كل هذه الفنون ولكننا لانمتلك من تراثه الذى كتبه الاالقليل والباقى مفقود . ولايزال الأمل يحدونا أن تصل أيدينا اليه أوالى بعضه .

ومن غوامض حياته حادث أطلق هو نفسه عليه لفظ النكبة والمحنة (٢) . ذاق فيها مرارة الوحدة ومرارة الغبن الذى حاق به ، وضنك المعيشة فيها . لقد تعرض فى حياته للسجن مرتين أولاهما كانت قصيرة والأخرى طويلة . وهذا ما يعنينا فى هذا البحث القصير من حيث الاسباب والعوامل وما جرى له فى سجنه وكيف أطلق وما أعقبه من آثار .

وفي البداية نؤكد وبدون تردد أن مصدر معلوماتنا الأساسية هو ما كتبه الهمداني نفسه. ولكن ما كتبه عن حياته – حسب المتوفر حاليا – لايزيد عن لقطات خاطفة تثير شهيتنا ولا تشبعها . وأوسع ما كتبه الهمداني عن محنته هذه كان في كتاب " المقالة العاشرة من سرائر الحكمة " ولكنه استخدم أسلوب التحدث عن مجهول طريقا لشرح حالته مستخدما من رموز علم الفلك ستارا يختفي خلفه . وبالرغم من هذا التجهيل في أسلوبه وعدم لجوئه الى التصريح والابانة الا أن القرائن والدلائل تؤكد بأنه يتحدث عن نفسه (٣) ، ولكنه لم يشبع فضولنا بزيادة من المعلومات ، وتركنا – للوصول الى ما نريد – نضرب أخماسا في أسداس .

أما ما ورد في كتبه الأخرى " الأكليل " " وصفة جزيرة العرب " " والجوهرتين العتيقتين " فلم يكن كلفا بشرح حالة سجنه ولكنه كان حريصا على تسجيل شعره الذى قاله في وجهاء اليمن الذين تدخلوا لاطلاقه من السجن . وهذا الشعر في حاجة من زملائنا في شئون الأدب الى التفاته جادة . وأما ماورد من بعض التفاصيل قبل أو بعد الشعر فان الشك ليخامرني بأنه من صنع النساخ أو مالكي المخطوطات أو من تدخل لتلخيصها (٤) لأنها تختلف عما قبلها وعما بعدها من حيث الصياغة والروح في الكلمات أو الألفاظ ، فهي تعلن عن نفسها بأنها من صنع أيد أخرى . ربما – ان أحسنا الظن – أرادت توضيح ما ظنته خافيا وفي حاجة الى بيان . ومما يؤكد هذا أن الأجزاء الموجودة من كتاب الاكليل تدخلت فيه أيدى الشراح والملخصين والمتطفلين أيضا حتى ان النسخ الواصلة الينا بعضها مثل الجزء الأول ليست هي النسخة التي كتبها المؤلف ذاته . فالجزء الأول من الاكليل نقله الينا محمد بن نشوان بن سعيد الحميرى بأسلوبه هو فكان تلخيصاً لما كتبه الهمداني كما ذكر هذا في مطلع الجزء المذكور (٥) وبما أن الجزئين الأول والثاني وجدا في مجلد واحد (٦) ولم يوجد فصل فيما بينهما الامن حيث موضوعهما حيث يبدأ الأول بأصل الأنساب ويبدأ في نهايته بنسب خولان ثم يتابع هذا في الجزء الثاني .. فكأنهما خضعا معا للتلخيص . وكذلك وردت في الجزء العاشر من الاكليل (٧) بعض الفقرات توحي بأنها لاتمت الى أسلوب الهمداني بصلة .

ولاتعفينا معلومات الهمداني عن نفسه من أن نبحث عن مصادر أخرى قد تمدنا بمعلومات تسد بعض الثغرات التي لم نجد اليها سبيلا في المصادر الأصلية .

فقد تناول قضية سجن الهمداني بعض الاقدمين منهم : مسلم اللحجي (م ٥٤٥هـ/١١٥٠م) في كتابه : "سيرة الامام أحمد بن يحيى الناصر لدين الله " (٨) . ونقل الينا الخزرجي (م ٨١٢هـ/١٤٠٩م) في كتابه "طراز أعلام الزمن في طبقات أعيان اليمن " (٩) ماجاء عند الكلاعي (١٠) . وأما صاعد الاندلسي (١١) فقد ألمح الى أنه مات في سجنه وهو خلاف المشهور . وترجم له القفطي في "انباه الرواة " (١٢) وذكره يحيى بن الحسين (م ١١٠٠هـ/ ١٦٨٩م) في "طبقات الزيدية الصغرى " (١٣) باعتبار الهمداني كان معاصرا للهادى لابوصفه زيديا . وكان قد نقل ماجاء في كتاب شرح مقدمة الايمان للامام شرف الدين وفيه يبدو التحامل واضحا فيما نقله ، والعهدة على من نقل عنه. وتبعه ابن أبي الرجال (م١٠٩٢هـ/١٦٨١م) في كتابه مطلع البدور ومجمع البحور فذكر في أكثر من موضع (١٤): في ترجمة الحسن بن يحيى بن الحسين (الهادى) وفي ترجمته لأبي نصر الحنبصي وهنا نقل ماجاء عند القفطي وماجاء عند الخزرجي وماجاء عند يحيى بن الحسين أيضا. ثم أشار الى الهمداني أيضا في ترجمة محمد بن جعفر الطائي وفي هذه الترجمة يوجد مفتاح لمعرفة سبب سجن الهمداني كما سنبينه لاحقا .

وأما من جاء بعد هؤلاء فكانوا مجرد نقلة ليس الا .

وتعرض الباحثون المحدثون لقضية سجن الهمداني منهم البحاثة المشهور حمد الجاسر في مقدمته لكتاب صفة جزيرة العرب (١٥) وحاول الوصول الى رأى عن سجن الهمداني وان لم يكن شاملا لأنه أشار اليه في معرض ترجمة الهمداني فلم يعطه حظه من التمحيص .

وكان الأستاذ محمد بن علي الأكوع (١٦) المنافح الشهير عن الهمداني قد بذل جهدا في تتبع حياته ووعد في سبيل اخراج ترجمة وافية للهمداني وما زال الوعد لم ينفذ بعد – أمد الله بعمره ليحقق مايتمناه – وبالرغم من هذا الجهد الا أنه اندفع بعاطفته وحماسه وتبنى وجهة نظر واحدة وأسند تهمة سجنه الى العلويين . وبما أن عاطفته هذه كانت مشوبة بالميل الى القحطانية فقد تعثر – كما نحسب – في الوصول الى تحليل كاف لقضية سجنه وان كنت لأأزال اتطلع الى بحثه الخاص بترجمة الهمداني فلعله يكمل مانراه ناقصا .

وللأسف أن أديبا وشاعرا مثل أحمد الشامى تعرض لهذه القضية لامن قبيل البحث العلمى الهادى بالرغم من الأسلوب الأدبى الراقى ولكن من باب رد الفعل فقد كانت كتابته تشبه كتب المثالب التى كان يكتبها الأقدمون . وقد اعتمد على ذاكرته ومناقضة لما جاء عند الأكوع وهذه الكتابة التى تنبع من الفعل ورد الفعل لاتوصل الى حقيقة .

وكرست ندوة علمية فى ذكرى الهمدانى الألفية (١٧) ساهم فيها د. يوسف محمد عبدا لله ببحث استعرض فيه قضية سجن الهمدانى من خلال كتابه سرائر الحكمة ولم يقف طويلا عند جوانبه المختلفة ولهذا فان دورنا فى هذا البحث هو محاولة جمع شتات المعلومات وتحليلها واستخلاص نتائجها متمنيا أن تكون بيانا شافيا فى هذه القضية أو تفتح بابا لغيرى ليصل الى نتائج أخرى .

* * *

ان اول مايقف أمامه الباحث أو أول ما يتطلع اليه قارىء السيرة الذاتية للهمدانى أن يعرف الجواب الشافى عن تساؤل محدد وهو : ما السبب الذى دفع بالهمدانى الى السجن ؟

ولامفر من أن نحاول الاجابة عن هذا التساؤل من خلال استنطاق كلمات الهمدانى الواردة فى تراثه المتوفر فى أيدينا وقد تشبع جزءا من رغبتنا وقد تؤدى الى سد الرمق ليس الا . ومن خلالها ومما ورد فى مصادر أخرى لعلنا نصل الى رسم صورة تقريبية لهذه القضية.

لقد افلتت من الهمدانى كلمات وهو يتحدث عن المحنة التى تعرض لها – من خلال المثال الذى يطبق عليه نظريته فى علم النجوم – يقطر من هذه الكلمات الأسى والحزن .. فهو يسميها " نكبة عظيمة بالسمعة ، كثيرة الخطر لبنية الباطن " (١٨) فهى نكبة عظيمة أثرت عليه فى سمعته وأثرت عليه فى نفسيته ويطلق عليها مرة أخرى بأنها "نكبة ثقيلة أليمة " وأنها أصابته "بالضيق والضنك " (١٩)

وبين لنا أن الذى أدى الى هذه النكبة هى : مكيدة من (الأعداء) عند (السلطان) مما أدى الى اثارة " السلطان والرعية وسطا عليه الغوغاء والسفل " (٢٠)

فالسلطان اذن ليس بينه وبين الهمدانى قضية وانما هناك (أعداء) وهؤلاء مقربون من السلطان وقد زينوا له أن الهمدانى ارتكب جريمة استحق عليها العقاب ومالبث السلطان أن صار كأنه هو والأعداء سواء .(٢١)

ولكن من هم هؤلاء (الأعداء) الذين أوغروا صدر السلطان ؟ ومن هو السلطان ؟ وما هى التهمة التى اقنعت السلطان بسجن الهمدانى ؟ ولماذا أيضا أطلقه السلطان بعد عشرة أيام فى المرة الأولى ولماذا أعيد الى سجنه فى هذه المرة ؟ ولماذا أوذى فى سجنه وطال حبسه؟ ومن الذى كان وراء اطلاقه من السجن ؟ وماذا ترك هذا الحادث فى حياة الهمدانى ؟

أما (السلطان) فقد حدد الهمدانى مكانه وهو صعدة وما دمنا نعرف زمان هذا الحادث ومكانه فقد عرفنا أن المقصود بالسلطان هو الناصر أحمد بن الهادى يحيى بن الحسين .

وكان قد تولى الامامة بعد أخيه المرتضى محمد – الذى اعتزل الامامة – عام ٣٠١هـ/٩١٣م وظل الناصر اماما حتى توفى عام ٣٢٥هـ/٩٣٦م (٢٢) وتفضل علينا الهمدانى فى اختباراته الفلكية وأمدنا بتاريخ سجنه فى صعدة وهو عام ٣١١هـ/٩٢٣م وكان عمره فى هذه الآونة حوالى ثلاثين عاما (٢٣) ومعنى هذا أن الهمدانى سجن فى صعدة فى عهد الناصر وبأمره .ثم يتفضل ثانية ويحدد تاريخ ومكان سجنه للمرة الثانية فقد سجن فى صنعاء فى يوم الاثنين من شوال سنة ٣١٩هـ/ ٩٣١م . ولم يحدد لنا تاريخ يوم الاثنين هذا ولكنه يمكن أن يكون أول يوم من شوال لأن شهر شوال ابتدأ ذلك العام بيوم الاثنين (٢٤) وربما كان فى الاثنين الثانى من شوال أو الأخير . المهم أننا نعرف من هذا أن الهمدانى ظل فى صعدة بعد سجنه الأول حوالى خمس سنوات فلم يخرج منها مباشرة كما قد يتبادر الى الذهن . وقد صرح الهمدانى (٢٥) نفسه بأنه ظل فى صعدة عشرين عاما فاذا كان قد دخل صعدة عام ٢٩٥هـ فان اخراجه منها سيكون عام ٣١٥هـ ولانستخرج منها مدة بقائه فى مكة فربما كان متنقلا بينها وبين صعدة باعتبارها دار اقامته الأصلية ، وقد علق الهمدانى على سجنه للمرة الأولى بقوله " فكانت نكبة متجاوزة ومشهورة لم تعد عشرة أيام فكانت عواقب هذه النكبة الى جاه عريض وقدر رفيع".(٢٦)

فكأن الهمدانى بعد ما أطلق من سجنه فى صعدة ذاع صيته وانتشر ذكره وارتفع قدره ولكن عند من ؟ هل عند الناصر حينما أدرك براءته من التهمة الموجهة اليه أم عند الناس عموما أم جاء ارتفاع القدر من دعم بنى فطيمة والاكيليين له وهم وجهاء صعدة (٢٧) ربما يكون ذلك كله .

ومن المحتمل أن أمرا قد جد في داخل صعدة أثر علىّ مستقبل الهمدانى فبعد خمس سنوات قضاها فى صعدة ينعم بالجاه العريض والقدر الرفيع اذا به يلمس أن المقربين من (السلطان) أى الناصر أوغروا صدره على الهمدانى ولعله لاحظ الخشونة والجفوة واعتبرها مؤشرا الى أنه صار قاب قوسين أوأدنى من النكبة فقرر (السفر الكبير) كما عبر عنه (٢٨) ليلقى بعصا ترحاله فى صنعاء .

ولانعرف على وجه التحديد ماهو-هذا الشيء الذى بدأ يحكم الخناق على الهمدانى الا أننا وجدناه يحدثنا عن محنته الثانية فى صنعاء بأنه وقع تحت طائلة غضب (الملوك فى المدينة) التى عرضها ١٤/٣٠ من الأقليم الأول ويقصد بها صنعاء اليمن (٢٩) فسجن فى شهر شوال ٣١٩هـ /٩٣١م فمن هم هؤلاء (الملوك) الذين قصدهم الهمدانى ؟ فنحن نعرف أن صنعاء أصبحت تابعة للدولة اليعفرية من قبل الحملة التى قادها أبو حسان أسعد بن أبى يعفر ابراهيم الحوالى لاستئصال القرامطة (٣٠٣-٣٠٤هـ/٩١٥-٩١٦م (٣٠) وكان مقر أسعد الحوالى صنعاء ولم ينتقل الى عاصمته المختارة (كحلان) الا عام ٣٠٦هـ/٩١٨م (٣١) وظل فيها حتى توفى عام ٣٣٢هـ/٩٤٣م . فصنعاء اذن التى استقر فيها الهمدانى عام ٣١٥هـ /٩٢٧م هاربا من صعدة كانت تابعة للدولة اليعفرية و (الملوك) الذين عناهم الهمدانى هنا -كما يبدو - هم حكام بنى يعفر وقد جاء -فى العبارات التى نعتبرها مضافة الى كتب الهمدانى - أن أسعد الحوالى أمر بسجن الهمدانى لصالح الناصر (٣٢)

فلماذا اذا أقدم سعد الحوالى على سجن الهمدانى عنده ؟! وهل قصده وحده بلفظ الملوك أم قصده هو والناصر معا ؟ اننى أرجح أنه شملهما معا ولذا جاء بصيغة الجمع وليس المفرد وإطلاق الجمع على المثنى أسلوب غير مرفوض لغويا .

أما تدخل أسعد فقد يقال أنه تم على اثر صفقة سياسية أبرمت بينه وبين الناصر ولكن هذا القول يسقط لأن المصادر تذكر سببا آخر لذلك . فقد أكدت على أنه كانت تربطهما علاقة ودية منذ عام ٢٩١هـ /٩٠٣م واستمرت الى مابعد وفاة الناصر حيث ظل أسعد الحوالى راعيا ومدافعا عن أبناء الناصر (٣٣) أى أن العلاقة الودودة هذه كانت بينهما من قبل أزمة الهمدانى بكثير وهذا يدفعنا الى أن أسعد الحوالى لعله كان مقتنعا بما يراه الناصر ولا أظن أسعد الحوالى كان بمثابة سجان للناصر وهو الأقوى فى المنطقة ومن ثم فلا أرى

صحة ما روى من أنه قال لمن جاء يتوسط عنده لاطلاق الهمدانى : " انما كتب اليَّ فيه الناصر أن أسجنه له فهو فى سجنه عندى ، فاطلبوا اليه ، فاذا أنعم ، فيكتب الي حتى أطلقه " (٣٤)

بالاضافة الى ذلك أن الهمدانى نفسه لايحمل فى نفسه لأسعد حقدا أو غلا أو ضغينة فقد كتب كتابه سرائر الحكمة سنة ٣٣١هـ ووصف فيه أسعد بالملك ولم يصفه بالعدو بل وصفه فى كتاب الاكليل الذى ألفه بعد محنته بأنه فارس حمير فى عصره مع حسن السياسة وعظم الدهاء .. الخ (٣٥) وشارك الهمدانى نفسه فى سنة ٣٣٧هـ/ ٩٤٨م فى تشييع ونقل رفاة أسعد - حسب وصيته - الى شاهرة من مخلاف مأذن (٣٦) وفى هذا الحفل أنشد فيه شعرا مرتجلا (٣٧) .

نخلص من هذا الاستطراد الى أن المحنة التى ألمت بالهمدانى جاءته عن طريق الوشاية من (الأعداء) وأن هؤلاء (الأعداء) كانوا فى صعدة وأنهم أقنعوا الناصر بخطورة تهمته فسجنه ثم دخلت بعض الشخصيات فأطلقته بعد عشرة أيام وتحول حاله من سجين الى ذى مكانة ورفعة فى صعدة وظل كذلك حوالى خمسة أعوام وعاد (الأعداء) مرة أخرى ليؤثروا على الناصر فآثر الهمدانى الخروج الى صنعاء لعلمه أنه سيكون فى حماية أسعد الحوالى وهو الأمير القوى فى اليمن ولكن خابت آماله وظنونه . فقد سجن من قبل أسعد تنفيذا لرغبة الناصر سواء أكان أسعد الحوالى مقتنعا بما قيل له عن الهمدانى أم لا ؟ لأن (الأعداء) الذين يحيطون بالناصر هم سبب هذه المحنة ، ومن ثم فان سجن الهمدانى من قبل أسعد منفردا دون ايعاز من الناصر أمر لايستند على شيء (٣٨) .

فمن هم هؤلاء (الأعداء) ؟ اذا ما بحثنا فى كتاب سرائر الحكمة فلا نجد وصفا ولا اسما لهم أما كتاب الاكليل بأجزائه الأربعة الموجودة (الأول والثانى والثامن والعاشر) فلا تحديد لهؤلاء الأعداء من هم وما دوافعهم ولاذكر لهم البته .

ومهما جلنا فى البحث عن هؤلاء (الأعداء) فلن نجد اليهم سبيلا الاما تمدنا به المصادر الأخرى من معلومات عنهم .

فهل هم (الأبناء) ؟ اننا نجد ما ينفى هذا فى الكتاب الذى ألفه الهمدانى فى الفترة الواقعة بين ماقبل سجنه الأول وقبل سجنه الثانى وهو كتاب الدامغة حيث كتبت القصيدة

وشرحت أيضا بين عامى ٣٠٠ و ٣١٦هـ/٩١٢و٩٢٨م (٣٩) فقد أشاد الهمدانى ببعض (الأبناء) وقال عنهم : " انى قد رأيتهم وخبرتهم ورافقتهم بل فيهم الكريم والطريف وقاض الحاجة ، والأمين على السر ، والورع فى دينه " (٤٠) .

واذا لم يكونوا من (الأبناء) الذين يكثرون فى صعدة فهل هم رجال من (بنى فطيمة) سكان صعدة ؟ ان موقفهم من سجنه الأول وتدخلهم لاطلاقه ينفى أن يكون لهم ضلع فى تعرضه لمحنة السجن .

هل هم رجال من العلويين الذين كانوا فى صعدة ؟ وربما دفعهم الى هذا توجه الهمدانى العام لمدح قحطان وقدح عدنان كما ورد فى الدامغة وقصائده الأخرى المبكرة ولكن اذا ما رجعنا الى الدامغة فاننا سنجد الهمدانى يعدد مثالب عدنان ثم يحرص على استلال بيت النبوة من مثالب عدنان كاستلال الشعرة من العجين ومن ثم فالعلويون لايقصدهم الهمدانى فى قصائده بل أكثر من هذا فقد أشاد فى دامغته بالامام على بن ابى طالب وذريته ومدح قومه من قحطان الذين ناصروهم (٤١)

اذن من هم هؤلاء (الأعداء) ؟

وما دمنا قد فشلنا فى مهمتنا وهى الوصول الى معلومات من خلال كتابات الهمدانى فلامفر لنا من أن نتصيد معلوماتنا من مصادر أخرى .. وان لم يكن المصدر الذى سنعتمد عليه من المصادر المعاصرة للهمدانى أو قريبة العهد به الا أنها من المصادر الأصلية بالرغم من تأخرها لأنها اعتمدت على مصادر معاصرة أصبح معظمها مفقودا .

فقد احتفظ لنا ابن ابى الرجال (٤٢) بخبر لعله هو الذى يحل لنا الاشكال ولم يأت مقصودا لذاته وانما جاء بشكل عرضى اثناء ترجمته لمحمد بن جعفر الطائى وجعفر هذا كان يعرف بالوقار ومن اوائل من خرج الى الهادى وكان محمد بن جعفر الوقار من حملة الأدب ونقل ابن ابى الرجال عن ابى بكر محمد بن الحسن الكلاعى الزيدى بأنه أنشأ قصيدة نونية أجاب فيها فى آخرها على القصيدة المعروفة بأم الدنان المنسوبة الى أبى زيد محمد بن الخطاب العدوى الصنعانى القرشى النسب وهى قصيدة يفخر بها للعدنانية والأعاجم على اليمن وفيها نفى أنسابا وعاب على أهل اليمن اتباعهم للباطنية وهى على وزن قافية دامغة الهمدانى . وقصيدة أم الدنان هذه يسميها غير أهل اليمن القارعة .. ثم ينفى الكلاعى أن

تكون القارعة منسوبة لأبى زيد العدوى ونزهه عنها وانما نسبها الى جماعة من أهل صعدة تجمعوا على نظمها منهم :

محمد بن جعفر الوقار . ومنهم الحسن بن أحمد بن عبدالرحمن الصرار وهو من بنى دارم من بنى تميم خرج من البصرة الى اليمن أيام صاحب الزنج وأكثرها كما قال الكلاعى للصرار المذكور وأعانته الجماعة .

ومنهم أيضا أبو أحمد بن أبى الأسد وكان ينسب الى بنى سليمان ، ومحمد بن الحسن بن دانة، وينسب الى بنى عبد الدار من قريش .

ومنهم على بن عشام من ثقيف ، وعلى بن محمد السحلولى وهذا السحلولى كان أصله يهوديا من يهود بنى هارون ثم أسلم ، ومنهم أبوعبيد محمد بن عبيد الصنعانى .

وتصدى ابن أبى الرجال لتفنيذ ماقاله الكلاعى : بأن محمد بن جعفر الوقار ليس ممن شارك فى قصيدة " أم الدنان " لعلمه وشرفه وأنه يربأ به من أن يخوض فى أمثال هذا . ومثله محمد بن الحسن بن دانة فقد كان من أوعية العلم .

وأردف ابن أبى الرجال قائلا : " وأما ابن أبى الأسد وابن عشام وأبوعبيد فقد عرفوا بالشعر واشتهروا به سيما ابن عشام فانه هاجى النسابة المعروف بابن الحائك وهو الحسن بن احمد -الهمدانى - " ووصف ابن ابى الأسد وأباعبيد بأنهما كانا يتماريان ويتنازعان وكان الحسن بن الهادى يقعد معهما يستمع الى مناقضاتهما الشعرية .

هذا مانقله الينا ابن ابى الرجال عن مصادر شبه معاصرة للهمدانى ولابد من أن نقف عندها نحلل ونستخرج منها ما يخص موضوعنا هذا .

فهناك جماعة من أهل صعدة - فى عهد الهادى والناصر - يعرفون بأنهم من حملة الأدب وهم لفيف من الأنساب : التميمى والقرشى والثقفى ومن كان أصله يهوديا أوفارسيا ، تجمعوا فى صعدة وكانت لهم مستقرا ، وكان عملهم وشغلهم هو الأدب عموما والشعر خصوصا .وعلى طريقة الشعراء كانت حياتهم لاتخلوا من المزاح والمماراة والتخابث والدخول فى أعراض الناس. وتعاطى الشعر العابث المتماجن .

وهذه الجماعة أيضا كانت مقربة من الناصر وكان بعضهم من علماء الزيدية مثل محمد بن جعفر الوقار حتى وان أخذنا برأى ابن ابى الرجال من انه لم يدخل فيما دخل فيه غيره

لترفعه عن هذا التدنى الشعرى الا أنه لكونه من حملة الأدب لاشك أنه كان على صلة ما بهؤلاء الشعراء وربما أثروا عليه فى توجهاتهم وتحقيق ما يشتهون .

ونعرف أيضا أن القصيدة المعروفة بأم الدنان أوالقارعة كانت تناقض قصيدة الدامغة وليست الدامغة تناقض أم الدنان . لأنه من البداهة أن الهمدانى كان قد أنشأ الدامغة على قافية وروى قصيدة الكميت بن زيد الأسدى فأقدمت جماعة صعدة على مناقضة قصيدة الدامغة بقصيدة على نفس الوزن والقافية وهى القصيدة التى قيل بأنها تعرف بالعدوية(٤٣) على أنها منسوبة الى ابن ابى زيد العدوى الا أن تقرير الكلاعى بأنها ليست للعدوى (٤٤) هو الأولى بالصحة لأن الكلاعى نفسه ناقضها بقصيدة أطلق عليها الدامغة وان كانت قد اشتهرت بالكلاعية أو القاصمة (٤٥) .

فاذا كانت هناك جماعة من الشعراء يحيطون بالدولة الهادوية بصعدة وأنهم يجتمعون حول الشعر والتكسب به وأنهم يتصلون بشخصيات لهم تأثيرهم على الناصر . بينما كان الهمدانى لما تميز به من علم وفصاحة وشعر طبعى غير متكلف متمكن من فنه وهو لم يدخل فى هؤلاء فلا يخالطهم ويعيش فى أوساطهم بل هناك نفرة منهم .

مما سبق نجزم بأن هذه الجماعة هم (الأعداء) الذين نفسوا الهمدانى على فصاحته وتمكنه ودسوا ما يشتهون الى المقربين من الناصر سواء أكان محمد بن جعفر الوقار أوابن دانة أو الحسن بن الهادى الذى كان يخالط أولئك الشعراء ويسمع لهم ويحكم بينهم حينما تنشب المشاجرات (٤٦) وهؤلاء المقربون بدورهم أوصلوا التهمة الملصقة بالهمدانى الى الناصر وكانت أسهل عقوبة فى ذلك الوقت هى السجن فأمر بسجنه لأول مرة فى صعدة بمكيدة من أولئك (الأعداء) حسب تعبير الهمدانى نفسه .

* * *

والآن نحن فى حاجة الى معرفة التهمة التى وجهت الى الهمدانى ولابد من العودة الى الوراء قليلا لنعرف مراحل حياته الفكرية والاجتماعية لعلنا من خلال هذه العودة نصل الى تحديد التهمة ومدى انطباقها عليه أو بعدها عنه .

استقر الهمدانى فى صعدة عام ٢٩٥هـ/٩٠٧م ولم يتجاوز الخامسة عشرة من عمره(٤٧) أى قبل وفاة الهادى عام ٢٩٨هـ /٩١٠م بثلاث سنوات وكانت القرامطة قد

دخلوا صنعاء عام ٢٩٣هـ/٩٠٥م (٤٨) وظلت صنعاء مضطربة فاستقر رأى الهمدانى أو أسرة الهمدانى كما يبدو على الخروج الى صعدة ولا أظنه خرج اليها لأنها محطة من محطات تنقلات والده بين اليمن وغيرها من البلدان (٤٩) وربما وجد رجالا من أهل صنعاء يخرجون منها ومن بطش القرامطة ليتخذوا من صعدة مقرا لهم (٥٠) ولم تكن القرامطة تجول وتصول داخل اليمن وحدها وانما لها صولات وجولات فى عموم دار الاسلام ، وكان من الطبيعى أن يقال فيهم الشعر باعتباره وسيلة الاعلام الذائعة الصيت فى ذلك الوقت وفى عمر الهمدانى هذا المبكر نجد له شعرا يذم فيه القرامطة (٥١) . ولا أظنه أقدم على ذلك الابعد وصوله الى صعدة ، وهذا يعنى أنه كان يقول الشعر وهو مازال يافعا وليس غريبا على مثله – فى ذكائه وفطنته –ولا على زمنه.

وعاش بعد ذلك فى صعدة حتى عام ٣٠٣هـ/٩٥٠م أى ثمان سنوات قضاها فى عيش رغيد كما يعبر هو نفسه عن هذه الحقبة .

ولنا أن نتسائل عن مصدر رغد العيش هذا ولانجد من يصرح بذلك ولكن ربما كان من أبيه الذى يغدق عليه من خلال سفراته المتعددة (٥٢) وربما من تجارته فقد كانت صعدة فى هذه الآونة سوقا تجارية مطروقة وكان أبوه يشتغل بالتجارة (٥٣) وربما كان يتقاضى أموالا مجزية مقابل عمله فى تدبير دواب قوافل المسافرين للتجارة (٥٤) ولا أظنه اشترك فى معارك الهادى مع خصومه لالشىء الا لأن الهمدانى كان لديه ما يشغله ولم يكن لفكر أو رأى يرتئيه . فقد كانت له حياة خاصة تتميز برغد العيش وحياة متبذلة نوعا ما . فقد حكى الهمدانى نبذة عن حياته فى هذه الفترة فقال بصراحة متناهية يندر أن نجد من يتعاطاها : " فقطن فيه (أى البلد الذى انتقل اليه وهو صعدة) واسترفع عيشته وحسنت أحواله وأظهرت فيه الشبق المفرط والهوى والاستهتار بالنساء ومعارفهن على حد الزيادة.ويضيف بأنه ظهر لديه : " الميل الى النساء والتزين لهن وخالطت بينه وبين الغرباء ، وماجانس الغرباء والأضداد ، وأكسبت منهم الرفق ، وافترق وعاش عيشة حسنة وجنح الى النساء " (٥٥)

فهذه السنوات الثمانى اذن قضاها الهمدانى فى حياة غير طبيعية فالصراع على أشده بين الهادى ومن حوله والقرامطة يجوبون البلاد واليعفريون يسقطون وينهضون بينما الهمدانى

يتزين للنساء ويجنح اليهن الى حد الشبق . وجالس اناسا (غرباء) من هــم هـؤلاء الغربـاء ؟ هل هم القادمون فى القوافل التجارية الى صعدة وبحكم عملـه كـان يلتقـى بهـم ؟ هـل هـم صغار الأدباء القادمين الى الدولة الجديـدة فـى صعـدة ؟ هـل هـم أولئـك (الأعـداء) الذيـن حددناهم فيما سبق ؟ لايعطينا الهمدانى جوابا على ذلك ، ولكن يخبرنا بـأن عـداوة نشـبت بين الخلطاء فى أشياء تمت بينهم وهو واحد من من هؤلاء الخلطاء وكان هو لايزال فى كـد ونصب فى عمله لتدبـير دواب المسـافرين (٥٦) ولانـدرى مـاحدود هـذه العـداوة الا أننـا لانستطيع أن ننفى وجود انتاج شعرى فى هذه الآونة تعبر عن هذه الحالـة وان لم يكـن قـد خلده فى كتبه الموجودة بين أيدينا . ويعطينا هنا فقط مجرد اشارة الى وجود أعداء من خلانه المصاحبين له فى لهوه واستهتاره .

ويقرر الهمدانى تغيير حالته هذه فيسافر الى مكة بقصد طلب العلم مائلا الى الزهد مبتعدا عن حياة الاستهتار السابقة ولا أظنه أقبل على هذه الحياة فجأة بل ربما دخل مع أقرانـه فـى جدل ونقاش ولكنه يقرر السفر ثم يصاب فى مكة بمـرض شـديد شـارف فيـه علـى المـوت ولعل لهذا الحادث أثره فى حياة الهمدانى وتحوله الى طلب العلم والاقلاع عن حيـاة العبـث السابقة ولقد ظل بعيدا عن صعدة ست سنين تقريبا (٥٧) ينهل من معارف مكـة باعتبارهـا مركزا علميا تأتيه ثمرات العلم من كل مكان ، ولعله لم ينقطع عـن صعـدة تمامـا فربمـا كـان يذهب ويجيء ولكن أكثر مكثه كان فى مكة .

ويخبرنا الهمدانى عن حياته الجديدة وأثرها فهو قد اكتسب علما وفلسـفة وانكشـط عنـه الجهل واتسعت بسطته فـى العلـم وأنـه مـال الى " مذهـب الجماعـة " (٥٨) فمـاذا يقصـد بمذهب الجماعة ؟ لم يذكره على وجه التحديد ولكنه ربما أراد أنه لايدين بمعتقـدات الشيعة بأصنافها ولا المعتزلة ولا الخوارج بفرقهما ولا بمعتقدات أى فرق أخرى وانما هو من جمهـور الأمة الاسلامية الذين يعرفون بأهل السنة والجماعة (٥٩) ، ويؤكد هذا ما جـاء فـى بعـض مصادر الزيدية من أن الهمدانى كان (سنيا) (٦٠) .

واذن فمذهب الجماعة الذى عاد به الى صعدة هو مخالف لما عليه الدولة الهادويـة التـى ليست على "مذهب الجماعـة " وانمـا هـى علـى المذهـب الزيـدى .. فهـل لهـذا الاختـلاف المذهبى دور فى نكبة الهمدانى ؟

.... هذه واحدة ....

*   *   *

ونعرف أن الهمدانى ظل حوالى ست سنوات فى مكة وعاد الى صعدة عام ٣١١هـ/٩٢٣م وان كنا نرجح عدم انقطاعه عن صعدة تماما طوال هذه الفترة . ولا أظنه كان منعزلا عما يدور وفى اليمن فى دار الاسلام كلها . فهو يشاهد الصراع المرير داخل اليمن بين عدة قوى : مذهبية وقبلية . وقد سقطت القرامطة بسقوط المذيخرة عام ٣٠٤هـ/٩١٥م وعلا نجم أسعد الحوالى ودانت له العديد من المناطق وارتبط بالناصر بعلاقة ودودة (٦١) واتفق مع أبناء زياد فى تهامة حول مصالح مشتركة (٦٢) وتصدى هو والناصر لما بقى من فلول القرامطة فى غرب وشمال غرب صنعاء ، وبعض المناطق الأخرى (٦٣) .

وشاهد الهمدانى فى دار الاسلام صراعا مريرا بين الدولة العباسية واكبر أعدائها خطرا فى هذه الآونة وهم القرامطة الذين ما تركوا شيئا الاّ أهدروه حتى مكة المكرمة ونزع الحجر الأسود من مكانه في ركن الكعبة ، بالاضافة الى الضعف الذى اعترى الدولة العباسية وأصبح الخلفاء تابعين لبنى بويه الذين يميلون الى الفارسية كجنس والزيدية كمذهب (٦٤) .

وشاهد الهمدانى على مستوى الأمة كلها نمو قرن الشعوبية تلك الحركة الثقافية والحضارية والاقتصادية التى بدأت بتفضيل الفرس على العرب (٦٥) واذا بها تنتج شعوبية مضادة وهى تفضيل العرب على العجم . ودار على اثر هذا صراع فكرى واعتقادى وانقسم الناس الى طوائف كانت فى بعض الأحيان – ان لم يكن فى جميعها – يقدم فيها تفضيل القوم على دين الاسلام (٦٦) .

وفى الوقت ذاته نشأت بين العرب نظرتان : " نظرة قبلية فيها عصبية وفيها تفاخر بالنسب وفيها غرور وضيق ، ونظرة سمحاء تمثلت بالاسلام وتقف ضد القبلية ومفاهيمها وترى فى الايمان رابطة واسعة ، كما ترى فى العربية صلة قربى ضمن نطاق الاسلام"(٦٧).

ولا أشك أن الهمداني كان قد اطلع على قصيدة الكميت بن زيد الأسدى ونقائضها لدعبل بن علي الخزاعي وحكيم بن عياش الكلبي وغيرهما (٦٨) .ولا أشك أيضا في أن هذه النظرة القبلية وصلت الى اليمن عبر أولئك الشعراء الذين وفدوا من العراق على دولة الهادى في صعدة بالاضافة الى ابناء الفرس سواء كانوا طارئين على اليمن أوممن قد اتخذوا اليمن مستقرا منذ أمد طويل .

ولايستبعد أن يكون لبعض شعراء صعدة الذين بينا حقيقتهم سابقا بعض الشعر الذى يذكي جوانب من العصبية القبلية هذه .

في هذا الجو المشحون بالنظرات الجزئية التي لاتقوم على مفهوم الدولة ولا مفهوم الأمة وفي الوقت الذى كان فيه الهمداني مستقرا في مكة لتلقى العلوم والمعارف ربما غلبته نفسه الجياشة بحبه لقومه وأنشأ قصيدته (الدامغة) لأنه عاد من مكة الى صعدة عام ٣١١هـ/٩٢٣م وبعدها بعام سجن في صعدة لأول مرة فكأن قصيدته (الدامغة) الفياضة بالعاطفة القبلية أثارت حفيظة من حوله .

وقد يكون سار الأمر مسارا آخر وهو أنه عاد من مكة ولم يكتب دامغته بعد . عاد وهو في حالة غير الحالة السابقة ، والتقى هناك بأقرانه الأول وراعهم ما شاهدوه منه من علم ومعرفة وانكباب على العلم فأرادوا الانتقام منه فأثاروا عليه الغوغاء بأثارة حياته الماضية المتصابية وأتهم بالاستهتار والعبث والصلة بالنساء لأن الهمداني يصف نكبته الأولى بأنها كانت نكبة عظيمة بالسمعة كثيرة الخطر لبنية الباطن (٦٩) وهكذا كانت نكبته هذه تمس سمعته وشرفه ومن ثم تأزم نفسيا لهذا الموقف الذى ماكان يتوقعه ولاكان يتصوره .

ولكن سرعان ما أدرك الناس وأدرك الناصر أن الهمداني لم يعد ذلك الشاب الطائش وانما هو الرجل الذى يمتلئ علما حتى مشاشه ، وهكذا لم يزد سجنه على عشرة أيام لتكون حياته بعد ذلك حياة رفعة وجاه عريض .

وبعد ذلك وجد الهمداني بعض الشعراء في صعدة لايكفون عن انشاء الشعر القبلي . والهمداني بعقليته وعاطفته المتخصصة بالشعر القبلي الذى لايكاد يتعداه الى غيره لم يكن ليسكت وربما استغل مكانته وجاهه العريض(٧٠) بالأضافة الى مكانته العلمية فكتب قصيدته (الدامغة) وعندنا يقين بأن دامغته لم تكتب بعد عام ٣١٥هـ/٩٢٧م ولا قبل عام

٣٠٣هـ/٩١٥م وانما بين هذين التاريخين أما شرحها المنسوب اليه فتوجد اشارة بأنه أكمله عام ٣١٦هـ/٩٢٨م(٧١) وبالرغم من أن (دامغة) الهمدانى لم يتعرض فيها للعلويين -كما بينا آنفا- بل أشاد بالامام على بن ابى طالب وأبنائه (٧٢) وقصر الهجاء على قبائل نزار واستل منهم بنى هاشم . ومدح قحطان وأشاد بها وتجاوز فى هذا المدح الى حد غير مرغوب حسب ماهو معروف فى أدب المثالب والمناقب (٧٣) بالرغم من ذلك فان (دامغة) الهمدانى كانت سببا من أسباب محنته أى أنه متهم ليس بالطعن فى ذات رسول الله ولا فى آل بيته كما تحامل عليه البعض من أن عقيدته كانت مختله (٧٤) ولكن ربما لتجاوزه الحد فى مفاخرته وربما لما يخشى من اثارته هذه أن تسبب آثارا اجتماعية وسياسية سيئة . وخاصة أن الشعوبية كانت على أشدها فى هذه الآونة ومثلها العصبية القبلية . وكان لهذا التيار كتابه وأدباؤه وكان التنافس بينهم حاميا وولج فيه من ولج بعضهم بسوء نية وبعضهم بحسن نية غير منتبهين الى الآثار المدمرة التى يحدثها مثل هذا التيار . وما أظن الهمدانى أقدم على دخول مثل هذا الباب الامن عاطفته الجياشة نحو قومه ، والا من عدم ادراكه لعواقبه ولو علم أن (دامغته) هذه ستجره الى هذه المحن (٧٥) لما أقدم عليها ولهذا ما وجدناه أشار اليها فى كتبه اللاحقة وهى الكتب التى اشتهر بها كالاكليل وصفة جزيرة العرب .. وهكذا كانت العصبية ركن من أركان التهمة الموجهة للهمدانى .

..... وهذه ثانية .....

* * *

ونعرف أن الهمدانى كان شاعرا مجيدا وأشاد بالكثير من الوقائع والأيام التى حصلت بين القبائل اشادة أو عتابا أو هجاء أو وصفا ومع هذا لم نجد بيتا واحدا من شعر الهمدانى يمدح فيه الناصر بن الهادى الذى يعيش فى كنفه بصعدة وبالرغم من أنه يشيد ببنى فطيمة الذين آووا ونصروا الهادى وابناؤه (٧٦) الا أنه لم يشر الى دولة الهادى بشىء من شعره .

ولم يقل أحد بأنه شارك القرامطة فى نزاعهم مع دولة الهادى لأنه ندد بهم فى شعره (٧٧) ولأنه لو كان مائلا نحوهم لوجدناه قد ذكر فى كتب الاسماعيلية . ولا يوجد لدينا مايفيد بأن الهمدانى شارك الناصر فى معاركه ضد القرامطة ولا ضد أى قبيلة أخرى .. ولم نطلع أيضا على ما يدل بأن الهمدانى تعاون مع القبائل فى صراعها ضد الناصر لأنه لم يترك

الاقامة في صعدة الا في وقت متأخر ولن يقف مقاتلا للناصر من داخل صعدة . وأما ما ذهب اليه بعض الباحثين (٧٨) من أن الهمداني شهد مع أبي جعفر بن محمد بن الضحاك سيد همدان ومقره (ريدة) أكثر من مائة وقعة أكثرها ضد يحيى بن الحسين فليس صحيحا لأن ما اعتمدوا عليه في رأيهم هذا هو النص الذي ورد في الاكليل (٧٩) فلا يثبت ما ذهبوا اليه لأن الهمداني لم يذهب الى صعدة الا عام ٢٩٥هـ/٩٠٨م وكان عمره حينذاك خمسة عشر عاما ولم يتبق من عمر الهادي سوى ثلاث سنوات (ت ٢٩٨هـ/ ٩١٠م) فلا يتصور أن يكون الهمداني قد قاتل مع ابناء الضحاك من داخل صعدة !! وقد أخبرنا الهمداني نفسه (٨٠) أن ابني الهادي (محمد وأحمد) صافا ابن الضحاك وكان لهما نعم الصاحب والوزير على أمورهما وهذا التقرير من الهمداني يأتي بعد خروجه من السجن ومن مكان اقامته الجديد (ريدة) مقر ابن الضحاك الذي اتخذ الهمداني صاحبا وصديقا(٨١) .

ولمعرفتنا بطبيعة الهمداني المستفزة دائما المفعمة بالحيوية المعبرة عنها بسحر الشعر هزجه ورجزه الذي أنشده في معظم الحوادث التي جرت في ذلك الوقت ، مع العلم أن الأحداث اليمنية اختلطت واختلفت أهدافها ومراميها منها : الشارات – وقد أخذت مساحة أوسع– ومنها : الصراع المذهبي ، ومنها : حرص أسعد الحوالي على تسلم مقاليد الأمور في وسط اليمن وجنوبه ، وعمل على توازنات كثيرة فهو يمد بصره الى دار الخلافة ويتبادل معها الرسائل ويؤكد على أنه لايقدم على عمل الا باسم الخلافة وبأمر الخليفة(٨٢) ، وفي الوقت الذي يرتبط بأبناء الهادي بعلاقة مودة كانت عواطفه قبلية صرفة .. ولا يترك تهامة حتى يعقد صفقة مع ابن زياد(٨٣) كل هذا ليمسك بزمام الاحداث .

هذا الوضع بتداخلاته الكثيرة هذه ماكان ليترك الهمداني ساكنا ولا ليجعله عازفا عن المشاركة ولابد له من المشاركة وهو الشاعر المتحفز وقد شارك ولكن في خط عام لم يحد عنه وهو المشاركة بشعره بين القبائل واصفا : مدحا وقدحا ، معاتبا ونادبا حظ قبائل قحطان لما يحصل بينها من قتال ومؤنبا بعض القبائل على ما حصل منها من نكث وغدر بقبيلة أخرى ، وراثيا ومهنئا (٨٤) .. الخ .

فمثل هذا الموقف الذى يجعل صاحبه – ذا اللسان الحاد – لايحرك ساكنا مع الدولة الفاتحة فلا يشيد بمآثرها شعرا . بل لايترك مناسبة قبلية الا وقال فيها الشعر ، بالاضافة الى نغمته القحطانية العالية . كل هذا كان من شأنه أن يثير حفيظة الناصر ضد الهمدانى . بل تثير حفيظة وحنق أى نظام .

..... وهذه ثالثة .....

* * *

أما رابعة الاثافى فهى انتقاله أو ان شئت فقل هروبه من صعدة الى صنعاء فقد كانت – كما نحسب – القشة التى قصمت ظهر البعير . ومهما كانت مبررات الهمدانى لانتقاله الى صنعاء الا أنها أثبتت عليه التهمة سواء لموقفه السياسى والفكرى والعاطفى السابق أو تخوفا من أن يؤدى موقفه هذا الى اشعال تمردات على الناصر وسط القبائل المجاورة .

ولا أظن الهمدانى كان عازما على مايمكن أن يكون قد تبادر الى ذهن الناصر من اثارة الشغب عليه بين القبائل لأن دوافعه للخروج من صعدة كانت غير ذلك .

فالهمدانى من أسرة تعمل فى ظروف متعددة تميزت بالتنقل والترحال فقد جاء جده من الجوف الى صنعاء (٨٥) وانتقل هو من صنعاء الى صعدة ثم الى مكة ثم صعدة وهاهوذا يعود الى صنعاء ولن تكون مقره الأخير بل سينتقل الى (ريدة) وفيها يموت كما سيأتى بيانه.

والهمدانى تميز بذكاء وقاد . فقد ترك صنعاء مع أسرته عام ٢٩٥هـ/٩٠٨م زمن الاضطراب وتناوب القرامطة وآل يعفر والهادى عليها . وترك صعدة الى مكة فى وقت اشتداد الصراع .. ويعود الى صعدة وقد استقرت الأوضاع الى حد ما وترك الآن صعدة متجها نحو صنعاء وأما سبب هذا التحول فما أظنه خفى عليه وضع صعدة المستقبلى فهو يرى النار تتوقد من تحت الرماد ، ويكاد يلمس دولة الهادى تنهد على ابنائها بفعل أحفاد الهادى أنفسهم . هذا الى جانب ما كاد يلمسه من أن الدائرة بدأت تضيق من حوله وأنه مقبل على نكبة أخرى بل نحس أنه تعرض لمضايقات من نوع مالانعرفه ولكن نعرف أنه لم يخرج من صعدة الابعد ابتداء النكبة بتسعة أشهر وثمانى عشر يوما (٨٦) ، وتحين الفرصة ليترك صعدة الى صنعاء .

ويبدو أنه لم يكن بصيرا بالدهاء السياسى فقد اختار صنعاء لظنه أنها عاصمة اليمن وهى تابعة لدار الخلافة اسما ، وهى ترعى (مذهب الجماعة) . والقائمين على صنعاء من حمير وهم آل يعفر الحوالى فهم واياه من أرومة واحدة وهى القحطانية وهى العاطفة الجياشة التى يتغنى بها فى كل مناسبة هذا بالاضافة الى أن صنعاء هى مسقط رأسه ومرتع صباه .

هكذا قرر الهمدانى الانتقال الى صنعاء وما أظنه أخذ رأى الناصر فى هذا القرار ولكنه خرج، وقد لايراه فرارا ولكنه وفى هذا الجو المشحون وفى وسط كيد أقرانه واعدائه الشعراء كان خروجه فرارا كما يراه المراقب من بعيد والمتربص به الدوائر وكأنه قدم برهانا على صدق تهمته بنفسه وأصبح مستحقا للعقوبة القاسية من وجهة نظر الناصر . حتى داره فى صعدة لم تسلم من الهدم (٨٧) . ومن ثم لم يترك آمنا فى مستقره الجديد فاستغلت العلاقات الودية بين الناصر وأسعد الحوالى لتنفيذ العقوبة التى يستحقها الهمدانى كما يراها الناصر .

ويعتقد أن أسعد الحوالى حينما وصلته أخبار الهمدانى ووصلته شكوى الناصر منه ووجده استقر فى صنعاء استقرار الهارب من عاصمة دولة الهادى فان أسعد استراب من الهمدانى لأن اسعد الحوالى كان حريصا على تأمين جبهته الداخلية ولا يريد أن يثير النزاعات واذا كان للهمدانى حماس للقحطانية فليكن لنفسه أما أن يتحول الى شعر يتغنى به فيثير الصراع هنا وهناك فلا خير فى بقائه وأسعد بصفته قائد دولة يريد سد كل ثغرة تؤثر فى زعزعة النظام فى الدولة . ويضاف الى هذا الموقف العام ما جاء من شكوى الناصر بالهمدانى من أنه يلمز ويغمز العلويين لأن الباحث يرى من خلال وصايا أسعد الحوالى (٨٨) أنه كان يحب –صادقا– العلويين ويرعى شؤنهم ويحرص على الايغضبهم . فما كان له والأمر كذلك أن يتردد فى ايقاع العقوبة القصوى على الهمدانى .

وكانت عقوبة السجن هى العقوبة التى تقررت على الهمدانى وما أظنها الابمثابة الاحتجاز أو الحجر عليه وكأن التهمة لم تكن تستحق عقوبة القتل ولو كانت كذلك لما تردد أسعد الحوالى ولا الناصر فى اسكات صوته الى الأبد . خاصة أن الهمدانى فى هذا العمر لم يكن من الشهرة بمكان فلم يكن قد ألف كتبه : الاكليل بأجزائه العشرة وصفة جزيرة العرب وغيرها وهى الكتب التى أكسبته الشهرة . ومن ثم فلن يسبب التخلص منه

حرجا لأحد . ولم يكن الهمدانى الوحيد من الشعراء ممن تعرض للسجن فقد سجن الشاعر ابراهيم بن الجدوية الانباوى أحد شعراء صنعاء المشهورين وكان معاصرا للهمدانى ووصفه هذا (٨٩) بأنه يشابه مذهبه مذهب الكميت بن زيد الأسدى فقد رثى الهادى ومدح الناصر ومدح أيضا أسعد الحوالى ومع هذا تعرض للسجن من قبل الناصر .

ونخلص مما سبق الى ان التهمة الموجهة الى الهمدانى كانت مركبة من عدة بنود : عدم انسجام الهمدانى فكرا مع دولة الهادى . وهواه القبلى الواضح . وموقفه السياسى والعاطفى والشعرى من الناصر ودولته ، وأخيرا هروبه من صعدة . كل هذا شكل تهمة المناوءة للنظام واغضاب الحكام . أما من جانبه هو فلم يكن يتصور أنه قد ارتكب جرما يستحق عليه العقاب ولهذا فجعته نكبته هذه وأصيب بخيبة أمل كبيرة تعبر عنها القصيدة المنسوبة اليه المعروفة بقصيدة الجار(٩٠) ، وقد ظن أنه حينما يدافع عن قحطان ضد عدنان ستقف كل قحطان الى جانبه وتمنعه من أى أذى يتعرض له ، وفى هذه القصيدة يقول :

كأن لم يقولوا يوم ناظلت دونكم * لئن ثأرت عدنان منك لنثأرا

الى ان يقول :

ويسقط ضعفى ذاك عن حى حمير * وسيدها المنظور فيها ابن يعفرا
أنخت به خوف العداة وغدرهم * فألفيته فيهم على الأمن أغدرا

ويبين حالات الجوار التى وفى بها فى التاريخ الى أن يقول :

أخاكم أخاكم ان من لاأخا له * قليل ذليل لايزال يحقرا
أديروا صواب الرأى فى فانكم * ترون أخى الزلات بالرأى أبصرا
ظننت بأن لوكنت من حى فارس * على بعدها أو كنت ممن تنصرا
لما أسلمونى عنوة دون صيلم(٩١) * ولا تنفضوا عنى الأكف تنكرا

وفى نهاية القصيدة يقول :

ولكننى أصبحت فى دار غربة * أجار من بين البرية حميرا

ومهما فندنا التهمة التى اتهم بها الهمدانى الا أننا نجدها تجتمع فى نزعته القبلية المغالية فى رفع اليمن وقحطان وخفض نزار وعدنان أى تفضيل عنصر بشرى على عنصر آخر .

وكان حمد الجاسر (٩٢) موفقا حينما حدد مفتاح شخصية الهمداني بأنه تعصبه لقومه أو للقحطانية عموما ، ووصفه محب الدين الخطيب (٩٣) بأن نزعته الهمدانية أو اليمنية هي " لونه الثابت الذى كان يحب أن يصبغ به كل ما يقع نظره عليه . ومن هنا اتى "

ولا مفر لنا من أن نعترف بأن اهتمام الهمداني وتوجهه وعاطفته منحصرة في تعصبه لقومه ولم نجد له توجها لمفاهيم عامة ، كمفهوم الأمة الاسلامية عموما أو نظرة انسانية بل نجده دخل أو أدخل من حيث لايدرى الى معمعة من الصراع لم يكن مستعدا لها نفسيا وكأنه بدأ يسير في هذا الطريق من باب مجاراة الشعراء ثم وجد نفسه يوغل فيه ولم يدرك مخاطره ، وظن أنه بعمله هذا سيأوى الى ركن شديد واذا به يجد المتاعب من ورائه ومن أمامه . وبما أن هذه القضية لاتستحق كل هذا الجهد ولا تستحق التضحية ، كانت فجيعته من النكبة التى تعرض لها كبيرة مؤثرة . وتكون في احساسه بأنه لم يرتكب جرما يستحق عليه عقابا ، ومن ثم أثرت صدمة سجنه على نفسيته تأثيرا عميقا ، ويظهر هذا من تخبطه في استجدائه الشعرى يعاتب هذا ويهجو ذاك ويمدح هذا وذاك ليخرج من حالته التى هو فيها ، ولم يكن مثل صاحب القضية الذى يدخلها بوعى واصرار ويكون عالما ومقدرا نتائجها فهو ينافح عنها ولا يبالى أن يدفع من حياته – أو يدفع حياته كلها – ثمنا لها وفي سبيلها ، وبالتالى لايستجدى أحدا ليخفف عنه من مأساته .

وقصيدة (الجار) التى تنسب اليه تبين هذا الرأى بوضوح فهو دخل في هذا المضمار لظنه أن قحطان ستقف الى جانبه ان تعرضت له عدنان بشىء ولكنه لم يجد الا السراب .

وما أظن الهمداني الاتعلم من محنته هذه –كما سنبينه لاحقا– التى تعرض لها في شبابه ولم يقدم على مثلها في بقية عمره ومن ثم لانجده يشير الى قصيدة الدامغة التى ألفها فيما بعد كعادته دائما في الاحالة الى كتبه التىماعرفنا أسماءها – ومعظمها مفقودة – الا من احالاته اليها في كتبه المنشورة .

* * *

أما الطريقة التى تم بها اطلاق الهمداني من سجنه والأسباب التى أدت الى ذلك .

فاننا على يقين من أن الهمداني نفسه هو الذى حرك قضيته عند من حوله ليتدخلوا في امره ، ولا أظنه فعل هذا من اول ما سجن لأنه لو كان فعل ذلك لما ظل سجينا من عام

٣١٩هـ/٩٣١م الى عام ٣٢١هـ/٩٣٣م أو أنه حاول ولكن محاولته باءت بالفشل أو أنه لم يكن من الشهرة بحيث تتحرك جهات الضغط لاطلاق سراحه من مبدأ سجنه .. وأن المطالبة بالافراج عنه كانت تشتد أحيانا وتخفت أحيانا أخرى حسب فراغ " الأشراف وذوى النجدة " (٩٤) أو حسب حصول المصلحة من هذا التدخل .

لقد ظل الهمدانى يطلق العنان لشعره راكضا به من سجنه فى صنعاء ليصل من خلاله الى كل زعيم قبيلة يرى أنه فى امكانه أن يفعل شيئا لتخفيف محنته سواء أكانوا من همدان أو من خولان أو من غيرهم وما أظنه كان يتصل الا بمن له صلة بالناصر أو بأسعد بن أبى يعفر.

ولم نجد ما يفيد بأنه استنجد بالخلافة العباسية مثلا ربما لعدم وجود من يوصل اليه رسالته وربما لعلمه أن الخليفة أعجز من أن يمد يد العون لنفسه فضلا عن أطراف البلاد .

ولم نجد أيضا أنه استنجد بابن الضحاك بالرغم من الصحبة التى بينهما (٩٥) ولعل هذه الصحبة لم تقم الا بعد انفلات الهمدانى من السجن واستقراره فى (ريدة) ووصف الهمدانى لنفسه يدل على هذا فهو ينشد الشعر عما جرى بين ابن الضحاك وبين القاسم بن الناصر وليس قبل ذلك (٩٦)

ولم يستعطف الناصر للافراج عنه ولا أسعد بن أبى يعفر الحوالى ما خلا قصيدة (الجار) التى يعاتب فيها أسعد بن أبى يعفر وان كان فيها يستثير همم حمير ويستجيش حميتها .

واستغاث الهمدانى بأبى الحسن على بن أبى القاسم المنصور وله فيه مدائح واستعانه واستصراخ لم نجده فيما وجد من تراث الهمدانى وقيل أنه مدون فى ديوانه المفقود (٩٧) .

وبما أن معاصرى الهمدانى أو الحديثى عهد بعصره لم يدونوا لنا حياة الهمدانى فاننا لانجد الامابين أيدينا من كتب الهمدانى لنستخرج منها ما يخص حياته الشخصية ففى كتب الهمدانى اشارات الى سجنه والى بعض الشعر الذى قاله ولكن تفاصيل ما حدث له داخل السجن وكيفية اطلاقه لانجده فى أى كتاب الا تلك الاشارات الغامضة التى وردت فى كتاب سرائر الحكمة. وهى فى حاجة الى شرح وبيان لنعرف من خلالها كيفية اطلاقه من سجنه .

ولم يحدثنا عن اطلاقه من سجن صعدة الا أننا عرفنا فى كتاب الاكليل (٩٨) أن لزعماء خولان دورا فى التدخل لاطلاق سراحه .. وأن المدة التى قضاها فى سجنه لاتزيد عن عشرة أيام .

أما اطلاقه من سجن صنعاء فهو الذى يحتاج الى وقفة ..

فالهمدانى يقرر أن اطلاقه تم من قبل تدخل "الأشراف وذوى النجدة " (٩٩) وأن عمل هؤلاء يتمثل فى الطلب لاطلاقه وبوسيلة " المغالبة والمكابرة والغضب " (١٠٠) ولا نعرف بالتفصيل ماذا يقصد بكلماته الثلاث : المغالبة والمكابرة والغضب . وليس بوسعنا أن نتكلف التفسير الا أنه من المحتمل أن يقصد ما جاء فى كتاب الاكليل (١٠١) بأن بعض وجهاء (بنى جماعة) تدخلوا عند الناصر لاطلاق الهمدانى فتنصل من ذلك بحجة أنه مسجون عند أسعد بن أبى يعفر الحوالى فى صنعاء فذهبوا الى أسعد فاعترف بأن الهمدانى فى سجنه ولكن الناصر هو الذى أمر بهذا فعاد وفد بنى جماعة الى الناصر وحالوا الضغط عليه فخرج عن حده فأغضب بنى جماعة لأنه عاملهم بخشونة فخرجوا من عنده وقد أزمعوا محاربته فتبادل الطرفان النصر والهزيمة، وفى يوم نصر بنى جماعة على الناصر أنشد الهمدانى شعرا ولا أظنه قال ذلك من سجنه وربما قيلت بعد أن استقر به المقام فى ريدة .

ولكن الهمدانى نفسه يخبرنا (١٠٢) بأن محاولات اطلاقه من سجنه لم تسر على وتيرة واحدة فبعد أن اشتد الطلب فى ذلك انقطع مرة أخرى بل شددت عليه الاجراءات وأن (الملوك) أصروا وتعاقدوا وتعاهدوا الا يخرج الهمدانى من سجنه الاميتا وضيق عليه فى صعدة أكثر من الأول وظل على ذلك سبعة أشهر وأربعة عشر يوما ويعتقد أنهم ما فعلوا ذلك به الا لتأثيره على ما حصل فى صعدة بين الناصر وبين بنى جماعة ثم تدخل بعض الناس بأن يفسح له فى سجنه ولا يضيق عليه وأن يسمح بالزيارة له ، فاستجيب لذلك فرفعت القيود الثقيلة عنه وأبدلت بقيد خفيف واستمر على هذه الحال حوالى شهرين .

وحصل ما لم يكن فى الحسبان فقد انهدم جزء من حائط السجن فحول الى سجن القاضى ولا ندرى من هو القاضى فى هذا الوقت وكأن سجن القاضى كان فى معزل عن الناس الا أنه كان منزلا وليس سجنا وصارت حياته مرضية بعض الشىء ، ولكنهم أعادوه الى ضيق الحياة مرة أخرى وكأنه نقل للسجن فى بلد آخر فهو نفسه يقول : " فنقلته عن تلك الحال

الرحبة الى ضيق بالضيق فنقل من بلد وطبق مصفد فى موضع غربة فلقى من ذلك الامريـن " ولا ندرى أيضا الى اين نقل ؟ ولماذا نقل ؟ الا أنه يصف حالته بعد هذا بأنـه خفـف عليـه التضييق ودخلت عليه بعض الراحة بعد أكثر من شهر بقليـل من ذلـك التنقـل . ومـا زال الهمدانى يشرح لنا السبيل التى أطلق بها من سجنه : فبعد هذا الوضع : " احـترك الطلـب فيه والعظماء من النـاس " وظلـت هـذه المحاولـة حـوالى سـبعة شـهور الى أن قبلـت شـفاعة العظماء فيه . وفى يوم الأحد ٢٧شعبان مـن سـنة ٣٢١هـ/ ٩٣٣م (١٠٣) صـدر الأذن باطلاقه ولا ندرى أيضا من الذى أمر بالافراج عن الهمدانى هل هو الناصر أم هو أسعد بـن أبى يعفر .. ونفاجأ بتردد غريب فى هذا الافراج فقد أخرج مـن السـجن ثـم أعـادوه مـرة اخرى وظل فيه يوما واحدا ، ولعلهم فى هذا اليوم أعلموه بشرط الافراج وهو الايقيم فـى صنعاء وربما خيروه المكان الذى يريد النزول فيه ولم يخبرنـا باختيـاره ولكنـه يقـول بأنـه : " بعث به مغربا مع حفظة أينما وصلوا من قرية سجنوه فأقام على ذلك ثمانى أيام " فكـم مـن الاسـئلة تثـور هنـا ولا نجـد لهـا اجابـة شـافية . فلمـاذا هـذه الرحلـة المضنيـة ؟ ولمـاذا هـذه الاجراءات كلها ؟ هل أرادوا تسليمه الى السلطات المسئولة فى الموضع الذى اختار الاقامة فيه ؟ ومن هذه السلطات التى ستسلم الهمدانى ؟ ولماذا اتجهوا به (مغربا) ؟ وبالتـأكيد أنـه يقصد بالمغرب هنا مغرب صنعاء..

ونحن نعرف أن مغرب صنعاء توجد فيه قوى غـير قـوة آل يعفـر وغـير قـوة النـاصر بـن الهادى ، فهناك أكثر من قوة فى مغرب صنعاء : قوة ابن زياد الذى بدأت تظهر دولتـه فـى زبيد فى مطلع القرن الرابع الهجرى (١٠٤) فهل أريد للهمدانى أن يسـلم الى ابـن زيـاد ، وتصبح الاشارة التى وردت فى الاكليل (١٠٥) – وما أظنها الا من العبارات المضافـة الى كتاب الهمدانى – تؤيد هذا الرأى وهو أنه أطلق من قبل ابن زياد . وهناك قوة بنى المنصور وكان أبو الحسن على بن أبى القاسم المنصور الذى تراجع عن المذهب الاسمـاعيلى وأصبـح فى الشمال الغربى من اليمن يشكل قوة لها ثقلها فى وسط منطقة شمال غرب صنعاء . وقد عرفنـا بـأن الهمدانـى اشـتغاث بـابن منصـور ولـه فيـه مدائـح واسـتغاثة واسـتصراخ وهتاف(١٠٦) فهل أرادوا تسليمه الى أبى الحسن بن المنصور ؟

كل هذه التساؤلات تظل تتردد أصداؤهـا ولا مجيـب لها . بـل نـزداد حـيرة حينمـا نجـد الهمداني نفسه يقول في عباراته الغامضة وهو ينهي سرد حياته في السجن بأنه : " فلت من النهج الذى قصد به له ، وملك نفسه " (١٠٧) .

فكلمت (فلت) من الافلات وتعني : التخلص من الشيء فجأة ومن غير تمكـث (١٠٨) .. و (النهج) هو الطريق الذى سلكه .. و (قصد به له) كلمة تشي بوضوح بـأنهم قصـدوا هذا الطريق لايصاله الى مكان ما ولكنه (فلت) منهم أى تخلص فجأة بارادتـه هـو أى انتهـز فرصة وهرب منهم .. واما أنهم تركوه وشـأنه فجـأة دون قصـد مسـبق وقـد يكـون لابـن الضحاك تدخل في هذه الاثناء . وربما التزم بايواء الهمداني عنده في (ريدة) وضمـن لكـل من أسعد والناصر بعدم السماح للهمداني بأن يتجاوز حده . ولا أرى صحة لما ذهـب اليـه حمد الجاسر من أن الهمداني قد يكون هرب من سجنه بمساعدة ابن زياد لأن هذا كان على وفاق مع أسعد الحوالى .. ولو كان له ضلع في هروبه لاستقر به المقام في (زبيد) وليس في (ريدة) ولكن ابن زياد ربما كان له دور في اطلاق الهمداني من سجنه من خلال تشـفعه لـه عنـد أسـعد الحـوالى (١١٠) ومـا أظنـه هـرب مـن ذات نفسـه لأنـه سـيكون كـالطريد أو كالمطارد وهو في خوف وترقب وعبارته تؤكد على عكس هذا فهو قد (ملك نفسه) فكأنـه وجد مكانا آمنا يستقر فيه ولا يتوقع فيه المتاعب (١١١) .

وأصبح بهذا مالكا نفسه في مستقره الجديد في مدينة (ريدة) الذى عرفها الهمداني بأنهـا "سرة همدان" (١١٢) ولتكن هي مثواه الأخير .

* * *

ان النكبة التي تعرض لها الهمداني أكسبته العديد من الآثار: أكسبته أن العلـم هـو مجالـه الآمن الذى ينبغي أن يكرس له جهده فكانت هذه أول ثمرة يجنيها بعد محنته تلك فقد انتـج لنا كتبه التي أعلت نجمه في مرحلة مابعد المحنة ، وقد اتخذ من (ريدة) مقرا له لا لأنها مقـر آل الضحاك الذين تقرب منهم فحسب بل هناك بعد آخر لانرى الهمداني يغفل عنه .

فقد رأيناه يترك صنعاء عام ٢٩٥هـ لأنها دخلت في مرحلة الاضطـراب بينمـا أصبحـت صعدة موئلا يستقر فيها من يريد الاسـتقرار حتـى التجـارة فـي هـذه الآونـة ازدهـرت فـي

صعدة أكثر من أى منطقة أخرى . ورأيناه يترك (مكة) وقد تعرضت بعد ذلك لهجوم القرامطة .

ورأيناه أيضا يترك صعدة الى صنعاء فى الوقت الذى يشتم فيه الصراع المرير داخل بيت الهادى نفسه فصعدة اذن ليست بدار قرار لمن يريد وتحول الى صنعاء قبل عام ٣١٩هـ فهو يراها مقرا لدولة لها نفوذها وعلى صلة بدولة الخلافة بالاضافة الى أنها قحطانية الارومة ولكنه فوجىء بحبسه فكانت المحنة ولم يكن يتوقع ذلك .. وبعد اطلاقه من السجن أدرك بحسه الخاص بتعدد القوى فى المنطقة .. بنو يعفر .. وبنو زياد .. وبنوالضحاك.. وبنو الهادى .. وبنو منصور اليمن .. والقبائل الهمدانية والخولانية والحميرية كل قوة لها تطلع الى البروز والتحكم فى مقاليد الأمور . وصنعاء -عاصمة اليمن - ستكون محط أنظار هؤلاء جميعا وربما تصبح ممزقة الأوصال بين هؤلاء المتنافسين . اذن فمدينة ريدة هى مقره الجديد وموئله لاعتبارات عدة منها : بعدها عن الصراع والتنافس عليها ، ومنها : لأنه لم يتعرض فيها لمحنة ، ومنها : أنها موطن قبيلة همدانية وقد جرب العيش بجوار قبيلة حمير وكان ما كان .

ولعل أعظم ما تعلمه من محنته تلك هو العدل والانصاف فهو فى كتبه المتأخرة (الاكليل والصفة) يعطى كل ذى حق حقه فهو يصف الأبناء بالصفات الراقية ويشيد بكثير من شعراء الأبناء وبقضاه وعلماء منهم (١١٣) بل أنه وقف فى صف (الأبناء) ضد أهل صنعاء فى تخاصم بينهم حول منطقة الرحبة (١١٤) .

وتعلم أيضا أن العصبية ما كان ينبغى له الدخول فيها بل أصبح لايتردد فى الثناء على كل من لايدخل فيها فوصف - مثلا- بعض (الأبناء) بأنهم لايدخلون فى عصبية (١١٥) وكأن العصبية فى عمره هذا وبعد نضجه غير راغب فيها أو الحديث عنها . واذا كان قد أنشد الشعر فيما بعد المحنة للاشادة بقبيلة هنا أو قبيلة هناك فلم يكن عن عصبية مقيتة وانما هو من قبيل الحب لقومه وان أدى هذا الى بعض التجاوزات ولكن ليس الى حد الكذب ومن ثم خلت كتبه المتأخرة من أى عصبية تقريبا الا الحب الطبيعى لقومه (١١٩) بل اننا لا نجد اشارة واحدة الى قصيدته الدامغة مما يوحى بأنه أصبح متخليا عنها وغير راض عما احتوته .

الهوامش

١- صاعد الأندلسي . طبقات الأمم ١٢١،١٤٧ تحقيق / حياة العيد بوعلوان . ط أولى ١٩٨٥م . دار الطليعة . بيروت - القفطى . جمال الدين أبوالحسن على بن يوسف القفطى (ت٦٤١هـ/١٢٤٣م) . انباه الرواه على ابناه النحاه ٢٨٢/١ تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم .ط أولى ١٣٦٩هـ/١٩٥٠م . دار الكتب المصرية .

٢- اسرار الحكمة ١١٠ (المقالة العاشرة) . نسخه وعلق عليه / محمد بن على بن الحسين الأكوع الحوالى (دون تاريخ ولا مكان النشر ولا دار النشر) .

٣- قال الهمدانى فى سرائر الحكمة ٩٦ وهو يثبت تجربته فى ترجيح ما توصل اليه من علم النجوم : " ان اختبرناه ببعض التيسيرات المشهورة الفروع فيما شاهدناه وعايناه ولم نرجم فيه بالغيب " .

٤- الاكليل ٤٢٦/١ تحقيق /محمد بن على الأكوع الحوالى .دار الحرية للطباعة . بغداد ١٣٩٧هـ/١٩٧٧م .

٥- الاكليل ٧٩/١-٨١ .

٦- وجدت نسخة فى مدينة برلين سنة ١٩٤٣م حاوية للجزئين معا (انظر : مقدمة فؤاد سيد للجزء الأول من الاكليل ١٣- ومقدمة المحقق ٣١)

٧- الاكليل ٦٧/١٠ تحقيق محب الدين الخطيب . المطبعة السلفية ١٣٦٨هـ . القاهرة .

٨- أخرجه ويلفرد ماديولنغ بالتعاون مع المعهد الشرقى بجامعة اكسفورد عام ١٩٩٠م وعنوان الكتاب هذا من اختراع محققه بينما وسم فى المخطوط بكتاب فيه شيء من أخبار الزيدية باليمن. انظر للباحث : الحياة العلمية فى اليمن فى القرنين الثالث والرابع للهجرة (رسالة دكتوراه . لم تنشر بعد)

٩- ورقة ٩٨ (مخطوط بالجامع الكبير بصنعاء) .

١٠- الكلاعى هو محمد بن الحسن بن محمد (انظر : طبقات الزيدية الصغرى (٥٦) .

١١- ١٤٧ .

١٢- ٢٨٢/١

١٣- (ق ٥٦) مخطوطة (مصورة عن المكتبة المركزية بجامعة صنعاء والكتاب موسوم ب : طبقات في ذكر فضل العلماء وعلمهم ومصنفاتهم) .

١٤- ٢/٥٥ ، ١٣٨، ١٣٩و ١٦٧/٤ ، ١٦٨ مخطوط . (تحصلت على نسخة من أجزائه الأربعة وهذا من فضائل الأستاذ الوالد / اسماعيل بن على الأكوع عن مخطوطة الأستاذ / على بن أبى الرجال . صنعاء)

١٥- ١٦، ١٧ .

١٦- ذكر هذا فى مقدمة كتاب الدامغة ومقدمة كتاب الاكليل بجزئيه الأول والثانى .

١٧- نشرت أبحاث هذه الندوة التى انعقدت بين ١٩و١٩٨١/١٠/٢٥ برعاية جامعة صنعاء فى كتاب بعنوان (الهمدانى لسان اليمن . دراسات فى ذكراه الألفية . تحقيق /د . يوسف محمد عبدا لله ١٩٨٦م)

١٨- سرائر الحكمة ١٠٩

١٩- المصدر نفسه ١١٠

٢٠- المصدر نفسه ١٠٩

٢١- المصدر نفسه ١١٠

٢٢- المحلى . أبو الحسن حسام الدين حميد بن أحمد (ت٦٥٢هـ/ ١٢٥٤م) .

الحدائق الوردية فى مناقب أئمة الزيدية ٢/٤٤-٤٦ (مخطوطة مصورة بالأوفست باشراف السيد يوسف المؤيد عام ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م باعتبارها الطبعة الأولى) - الجندارى . أحمد بن عبدا لله (ت١٣٣٧هـ/١٩١٩م) الجامع الوجيز فى وفيات العلماء أولى التبريز (مخطوطة بالممكتبة الغربية بالجامع الكبير خ ١٣٣٢هـ فى ٢٢٢ق رقم ٦٥ تاريخ) - العلوى . على بن محمد بن عبيد ا لله العباسى (توفى فى مطلع القرن الرابع الهجرى) . سيرة الهادى الى الحق يحيى بن الحسين ٤٠٧-٤٠٩ تحقيق / د. سهيل زكار . ط أولى ١٣٩٢هـ/١٩٧٢م . دار الفكر . بيروت - زبارة . محمد بن محمد (ت١٣٨٠هـ/١٩٦٠م) . أئمة اليمن ٦٥، ٦٦ . مطبعة النصر. تعز . وليس المقصود بالسلطان هنا هو السلطان العباسى كما حاول الشامى (جناية الأكوع على ذخائر الهمدانى

٨٥ . ط أولى ١٩٨٠م . دار النفائس بيروت) أن يقرره ليلحق سجن الهمدانى بأسعد الحوالى . فصعدة لم تكن تابعة للعباسيين فى هذا الوقت .

٢٣- سرائر الحكمة ١٠٩ وقد استخلصنا هذا التاريخ من رصد الأحداث التى وقعت له حسب ما أوردها هو وجمعناها حتى وصلنا الى حادث السجن فى صعدة عام ٣١١هـ وهو المولود فى ١٩ صفر ٢٨٠هـ (سرائر الحكمة ٩٦)

٢٤- اللواء محمد مختار باشا . التوفيقات الالهامية فى مقارنة التواريخ الهجرية بالسنين الافرنكية والقبطية ١٦٠. ط أولى ١٣١١هـ . الأميرية . مصر

٢٥- الاكليل ١/ ٢٧٥

٢٦- سرائر الحكمة ١١٠

٢٧- الاكليل ١/ ٣١٢ كان يحيى بن عبدا لله رجل خولان ولسانها وذا رأسها وقال فيه الهمداني يمدحه شعرا

٢٨- سرائر الحكمة ١١٠ ،١١١

٢٩- قسم بطليموس الأرض الى سبعة أقسام وجعل اليمن فى القسم الأول منها وأن صنعاء تقع فى العرض ١٤ درجة (الهمداني . صفة جزيرة العرب ١١ ،١٢ ، ٥٣ تحقيق/ محمد بن على الأكوع الحوالى . اشراف حمد الجاسر . دار اليمامة . الرياض ١٣٩٤هـ/١٩٧٤م .

٣٠- العلوى . سيرة الهادى ٣٩٨-٤٠٣-نشوان الحميرى ، أبوسعيد (ت٥٧٣هـ/١١٧٧م) رسالة الحور العين ٢٠٠ ، تحقيق /كمال مصطفى . نشر مكتبة المثنى ببغداد . والخانجى . مصر - الوصابى . عبدالرحمن بن محمد بن عبدالرحمن الحبيشى الوصابى (ت ٧٨٢هـ/١٣٨٠م) . تاريخ وصاب المسمى الاعتبار فى التواريخ والآثار ٢٥، تحقيق/ عبدا لله محمد الحبشى . ط أولى ١٩٧٩م . مركز الدراسات والبحوث اليمنى. صنعاء - ابن الديبع . عبدالرحمن بن على بن محمد بن عمر (ت٩٤٤هـ/١٥٣٧م) قرة العيون بأخبار اليمن الميمون ١/٢٠٧-٢٠٩ . تحقيق/محمد على الأكوع . السلفية . القاهرة - يحيى بن الحسين بن القاسم (ت ١١٠٠هـ/ ١٦٨٩م) . غاية الأمانى فى أخبار

القطر اليماني ١/٢٠٩، تحقيق /د.سعيد عبدالفتاح عاشور ، دار الكتاب العربي ١٣٨٨هـ/١٩٦٨م . القاهرة – وانظر كتابنا : اليمن في عيون الرحالة ٤٩–٥٥ .

٣١– العلوى . سيرة الهادى ٤٠٤ وكحلان هى : كحلان حضور تبعد عن يريم شرقا حوالى ٢٣كم (الحجرى . محمد بن أحمد . مجموع بلدان اليمن وقبائلها ٢/٦٦٣ . تحقيق/ اسماعيل بن على الأكوع . وزارة الاعلام والثقافة ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م . صنعاء – المقحفى. ابراهيم احمد . معجم البلدان والقبائل اليمنية ٥٥٠ ،ط ثانية ١٩٨٥م . دار الكلمة . صنعاء)

٣٢– الاكليل ١/٤٢٦، ٤٢٧ وتعتبر هذه الفقرة – كما نحسب – من الزيادات التى أضيفت فيما بعد لأن أسلوبها وصياغتها تخالف صياغة الهمدانى .

٣٣– الهمدانى .الاكليل ١/٤٢٦ ، ٤٢٨ – العلوى . سيرة الهادى ٤٧ ، ٢٧٠ ، -٢٧٣- المسعودى . أبو الحسن على بن الحسين (ت٣٤٥هـ/٩٥٦م) مروج الذهب ومعادن الجوهر ٢/٢٤٠ ، تحقيق/ محمد محى الدين عبدالحميد. دار الفكر . بيروت – مجهول . تاريخ اليمن (ق ٩٤/أ–٩٦أ)

٣٤– الاكليل ١/٤٢٧ هذه العبارة تدل على أن الجزء الأول من الاكليل صيغ من قبل آخرين ٣٥– الاكليل ٢/١٨٤، ١٨٥ .

٣٦– شاهرة : قرية فى ضلاع همدان شمالى صنعاء بمسافة ١٥ كيلومترا (المقحفى . معجم البلدان ٣٤٨)

٣٧– الاكليل ٢/١٨٥، ١٨٦ (الحاشية)

٣٨– كان أحمد الشامى فى كتابه جناية الأكوع ص ٤٦ الذى يمكن أن يعد ضمن كتب أدب المثالب قد اتهم أسعد الحوالى بسجن الهمدانى بدوافع لم يبينها الكاتب وقد أغفل العديد من الشواهد التى تنص على غير ما يقول .

٣٩– الدامغة ٥٤١ ناقش الاستاذ /حمد الجاسر فى (مقدمة صفة جزيرة العرب ١٥) قضية من هو شارح الدامغة هل هو الهمدانى أم ابنه أم غيره ؟ ونفى أن يكون ابنه هو شارحه وأنه شرح متأخر عن عصر الهمدانى .

٤٠- المصدر نفسه ٤٨٥ وقد ذكرهم فى الاكليل وصفة جزيرة العرب وأشاد بالكثير منهم .

٤١- الدامغة ٣٧٧- ٣٨٥ .

٤٢- مطلع البدور ٤/١٦٦-١٦٨ .

٤٣- الأكوع . مقدمة الدامغة ٥٦ .

٤٤- ابن أبى الرجال . مطلع البدور ٤/١٦٧ .

٤٥- الأكوع . مقدمة الدامغة ٥٦ .

٤٦- ابن أبى الرجال . مطلع البدور ٤/١٦٨ .

٤٧- سرائر الحكمة ١٠٦ .

٤٨- يحيى بن الحسين . غاية الأمانى ١/١٩٦، ١٩٧ .

٤٩- صفة جزيرة العرب ٣٦١ .

٥٠- أبو نصر الحنبصى هرب من صنعاء الى صعدة عام ٢٩٥هـ (الاكليل ٢/١٩٠ و٨/٢٣ ، ٥١، ٥٢) .

٥١- الاكليل ١٠/١٨٢-١٨٥ .

٥٢- صفة جزيرة العرب ٣٦١.

٥٣- الجوهرتين العتيقتين من الصفراء والبيضاء ٤٧ تحقيق/ محمد محمد الشعيبى . ط أولى. دار الكتاب . دمشق -حمد الجاسر . مقدمة صفة جزيرة العرب ٨.

٥٤- سرائر الحكمة ١٠٦.

٥٥- المصدر نفسه ١٠٧ يلاحظ القارىء كأن الهمدانى يتحدث عن غائب بينما هو يعنى نفسه.

٥٦- المصدر نفسه ١٠٨ .

٥٧- المصدر نفسه ١٠٨، ١٠٩ .

٥٨- المصدر نفسه ١٠٩ .

٥٩- البغدادى . الامام عبدالقاهر بن طاهر (ت٤٢٩هـ/١٠٣٧م) . الفرق بين الفرق ٢٩٩ ، ٣٠٠ تحقيق/لجنة احياء التراث العربى فى دار الآفاق الجديدة . ط الخامسة

١٤٠٢هـ/١٩٨٢م. دار الآفاق الجديدة .بيروت - السكسكي . عباس منصور (ت٦٨٣هـ/١٢٨٧م) .البرهان في معرفة عقائد أهل الأديان ٦١ تحقيق/خليل أحمد ابراهيم الحاج . ط الأولى ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م . دار التراث العربي .

٦٠- يحيى بن الحسين . طبقات الزيدية الصغرى ٥٦ .

٦١- الاكليل ٤٢٦/١، ٤٢٨ - المسعودى . مروج الذهب ٢٤٠/٢ .

٦٢- الحمادى . محمد بن مالك بن أبي الفضائل . كشف أسرار الباطنية في أخبار القرامطة ٧٢ تحقيق/د. محمد زينهم محمد عزب . ط أولى ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م . دار الصحوة . القاهرة .

٦٣- مسلم اللحجي . سيرة الناصر - يحيى بن الحسين . غاية الأماني ٢١٤/١ .

٦٤- راجع : ابن الأثير . أبو الحسن عز الدين علي بن محمد بن عبدالكريم الشيباني (م٦٣٠هـ/١٢٣٢م) . الكامل في التاريخ ١٣٩/٨-٢٣٦ . دار صادر . بيروت ١٩٦٥.

٦٥- ابن منظور . جمال الدين أبو الفضل (م ٧١١هـ/١٣١١م) لسان العرب (مادة شعب ٢٢٦٨/٤) دار المعارف . القاهرة - المسعودى . مروج الذهب ٥٣/٢، ٥٤ .

٦٦- خليل جفال (الدكتور) . الشعوبية والأدب . أبعاد ومضمونات ٢٠ ، ٢١ . ط أولى ١٩٦٨م . دار النضال .بيروت

٦٧- الدورى . عبدالعزيز . الجذور التاريخية للشعوبية ٦٠. ط الرابعة ١٩٨٦م . دار الطليعة بيروت .

٦٨- الأكوع . مقدمة الدامغة ٥٠- ٥٤- الحبشي . عبدا لله محمد . دراسات في التراث اليمنى ١١٣-١١٨ .ط أولى . ١٩٧٧م . دار العودة بيروت .

٦٩و٧٠- سرائر الحكمة ١١٠ .

٧١- الدامغة ٥٤١ .

٧٢- انظر : الدامغة وشرحها /٣٠٧،٣٠٩-٣١٢، ٣١٥ ، ٣١٦ ، ٣١٨ ، ٣٧٧ ، ٣٨١، ٣٨٨ .

٧٣- انظر : الدامغة وشرحها / ٢٥٠ ، ٢٩٥ ، ٤٦٣ ، ٥٠٩ ، ٥١٠ .

٧٤- ابن أبى الرجال . مطلع البدور ١٦٨/٤ .
٧٥- حمد الجاسر . مقدمة صفة جزيرة العرب ١٥ .
٧٦- الاكليل ٤٢٥/١ ، ٤٢٦ .
٧٧- المصدر نفسه ١٨٤/١٠ وقد دافع يحيى بن الحسين فى طبقات الزيدية ٥٦ عما نسب الى الهمدانى من أنه كان أسماعيليا وأثبت أنه كان سنيا وهو بالتالى ليس زيديا كما يقول أحمد الشامى فى كتابه تاريخ اليمن الفكرى فى العصر العباسى ١٧٩/١ ط أولى ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م . دار النفائس بيروت .
٧٨- محب الدين الخطيب . مقدمة الاكليل ١٠/يه - الأكوع . مقدمة الاكليل /٥٨ .
٧٩- الاكليل . ٦٧/١٠، ٦٨ يقول النص : " وهو (أى ابن الضحاك) الذى يمدحه الهمدانى ويقيد أيامه وهو منه خل وصاحب وشهد مائة وقعة وست كان أكثرها بين حزبه وبين يحيى بن الحسين العلوى " فأين مايفيد بأن الهمدانى اشترك مع ابن الضحاك .
٨٠،٨١ - الاكليل . ٦٧/١٠، ٦٨ .
٨٢- الأكوع محمد بن علي . الوثائق السياسية اليمنية من قبيل الاسلام الى سنة ٣٣٢هـ (جمع وتحقيق) ٢٤٢ .ط. أولى ١٣٩٦هـ/١٩٧٦م . دار الحرية بغداد .
٨٣- الحمادى . كشف أسرار الباطنية ٧٢ .
٨٤- الاكليل ١١٨/١٠، ١١٩ .
٨٥- المصدر نفسه ١٩٩/١٠ .
٨٦- سرائر الحكمة ١١٠ .
٨٧- ابن أبى الرجال . مطلع البدور ١٦٨/٤ .
٨٨- مجهول . تاريخ اليمن فى الكوانى والفتن (ق٩٤/أ- ٩٦/أ) مخطوط مصور بمعهد المخطوطات العربية بالقاهرة . ميكروفيلم رقم ١٨ عن مكتبة الأمبروزيانا g15 وقد تفضل عليَّ الوالد الأستاذ محمد على الأكوع الحوالى فسمح لى بأخذ صورة لهذا المخطوط - العلوى . السيرة ٤٧ وما بعدها - وراجع وصية أسعد بن أبى يعفر الحوالى وفيها أوصى من ماله لأبناء الناصر بن الهادى (الأكوع . محمد بن علي . الوثائق الساسية اليمنية ٥٥٢).

٨٩- صفة جزيرة العرب ٨٧ .

٩٠- الأكوع . مقدمة الاكليل ٦٣/١ - وجاءت سبعة عشر بيتا من هذه القصيدة فى كتاب تاريخ اليمن فى الكوانى والفتن . مجهول المؤلف (ق ٩٣/أ) .

٩١- صيلم : السيف .

٩٢- مقدمة صفة جزيرة العرب ١٦ .

٩٣- مقدمة الاكليل ١٠/يه .

٩٤- سرائر الحكمة ١١٤ .

٩٥- الاكليل ٦٧/١٠ .

٩٦- المصدر نفسه .

٩٧- مسلم اللحجى .سيرة الامام أحمد بن يحيى الناصر لدين الله ٤٢ ، ٤٣ ذكر ديوان الهمدانى فى ترجمة الحسين بن أحمد بن خالويه (ت٣٧٠هـ/٩٨١م) لأنه دخل اليمن وأقام بذمار وتحصل على ديوان الهمدانى وشرحه (القفطى .انباه الرواه ٢٨٤/١) .

٩٨- ٣١٢/١ .

٩٩،١٠٠- سرائر الحكمة ١١٤.

١٠١- ٤٢٦/١، ٤٢٧ .

١٠٢- سرائر الحكمة ١١٤، ١١٥ .

١٠٣- فى حساب الهمدانى أن يوم الأحد هو ٢٧ شعبان بينما وجدنا فى كتاب التوفيقات الالهامية ١١١ وبحساباته الفلكية والرياضية بأن يوم ٢٧ شعبان هو يوم الخميس وليس يوم الأحد وربما حصل هذا الاختلاف من اختلاف مطالع الشهور القمرية .

١٠٤- انظر : اليمن فى عيون الرحالة للباحث . ط أولى . ١٤١٣هـ/١٩٩٣م . دار الفكر.دمشق .

١٠٥- الاكليل ٤٢٥/١ .

١٠٦- مسلم اللحجى .سيرة الناصر ٤٤، ٤٥ .

١٠٧- سرائر الحكمة ١١٦ .

١٠٨- لسان العرب ٣٤٥٤/٥ .طبعة دار المعارف .

١٠٩- مقدمة صفة جزيرة العرب ١٦ .

١١٠- الاكليل ٤٢٧/١ .

١١١- سرائر الحكمة ١١٦ .

١١٢- الاكليل ٨٢/٨ .

١١٣- صفة جزيرة العرب ٨٦، ٨٧ .

١١٤- المصدر نفسه ٢٤٢

١١٥- المصدر نفسه ٤٠١ .

١١٦- نقل محب الدين الخطيب (الاكليل ١٠/يه) عن الشافعى " بأن الاسلام لايعد من العصبية أن يحب الرجل قومه ويشيد بمآثرهم ، بل يقدح بها اذا غمطت الحق وعارضت أهله ".